تقديم

بعد أن رصدت مجلة أسيناك ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ أعدادها السابقة، لملفات موضوعاتية تناولت، تباعا، "التنوع اللساني والثقافي"، و"تعليم الأمازيغية"، و"تهيئة الأمازيغية"، ارتأت أن تخصّص ملف عددها المزدوج الرابع والخامس لموضوعاتية " *الأدب الأمازيغي، النشأة والتصنيف والتطور*". ذلك أنه، في السياق الراهن لإدماج الأمازيغية في المنظومة التربوية خاصة على مستويي التعليم الابتدائي، ومسالك الدراسات الأمازيغية والماستر بالجامعة، أصبح للأدب الناطق بالأمازيغية حيّزٌ في الكتب المدرسية وفي برامج الدراسات الأمازيغية ومناهجها. كما عرف الإنتاج المكتوب بالأمازيغية نموا وتطورا ملحوظين، بفضل الظروف الملائمة لانتشاره، خاصة عن طريق النشر والتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال. ومن ثم، فإن تدريس الأمازيغية بصفة عامة، والأدب الأمازيغي على وجه الخصوص يستلزم مباشرة التفكير في الأبحاث المتعيّن القيام بها حول سيرورة نشأة الأدب الأمازيغي وتطوّره ومقاربته البيداغوجية والديداكتيكية.

ويتّسم الأدب الأمازيغي بغنى وتنوّع لا يوازيهما إلاّ غنى وتنوّع اللغة التي تنقله ويتوسل بها كأداة تعبير. وهو يستمدّ ثراءَه وتنوّعه من امتداد فضائه الجغرافي، ومن الثقافة التي ينقلها، وكذلك من تعدّد أجناسه.

وتتجلى التعابير الأدبية الأمازيغية، المطبوعة أساساً بالشفهية، في جملة متنوّعة من الأجناس الشعرية والنثرية، بعضها مستقل بذاته وبعضها الآخر ذو ارتباط وثيق بالتعابير الفنية، من قبيل فنون الرقص، أو بمناسبات أو طقوس قائمة في المجتمع المنتج للثقافة الأمازيغية.

غير أنه مقارنة باللغة الأمازيغية، لم يحظ الأدب بنفس الاهتمام الذي حظيت به؛ ففي الوقت الذي رأى فيه النور عدد مهمّ من كتب النحو والمصنّفات التي سعت إلى رصد ووصف مختلف لهجات ومتغيّرات الأمازيغية، ظلت المؤلفات والدراسات المخصّصة حصريا للأدب الأمازيغي في حكم النادر. ذلك أن المتوفّر في مجالي الشعر والنثر، من نصوص أدبية وشذرات متون، وخاصة منها الحكايات، غالبا ما يردُ كذيول وملاحق لتعزيز المدروس من الظواهر اللغوية في المؤلفات المعنية.

أكيد أن الساحة الأدبية الأمازيغية لا تخلو من مدوّنات ومتون، لعل أولها يرجع إلى ما جمعه دولابورت J.-D. Delaporte سنة 1844، الذي نشر أول نص أدبي أمازيغي؛ ولاشك أيضا أن هذه الساحة تضم بعض المؤلفات العامّة والمرجعية في ذات المجال، مثل هنري باسيه H.Basset (1920) ، و بوليت ݣالان بيرني P. Galand-Pernet (1998) ، وعبد الله بونفور A. Bounfour (1999)، ودانييلا ميرولا D. Merolla (2006). وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن بعض الأجناس الأدبية دون أخرى، وعلى رأسها الحكاية، قد نالت نصيبا وافرا من اهتمام الباحثين. وغداة استقلال البلدان المغاربية، ومع ظهور وتطوّر العلوم اللسانية، وخاصة منها البنيوية، أُنجزت دراسات انصبّت على أشكال وتعابير أدبية معيّنة؛ كما أنه في ضوء النظريات الحديثة والمقاربات المتداخلة الاختصاصات، بدأت تُطرح تساؤلاتٌ نظرية ومنهجية حول الأدب الأمازيغي، من حيث أجناسه، ونشأته وحدوده ، وبنيته، وتلقيه...

ورغم ذلك، يُلاحظ أن بعض أجناس الأدب الأمازيغي ظلت مجهولة، أو لم تنل نصيبا وافرا من الوصف ؛ وأن العديد من القضايا الأدبية لازالت مطروحة، ومن بينها تعريف الأجناس وتحديد الخطوط الفاصلة بينها، خاصة في هذه المرحلة التي تعرف انبثاق ما يمكن أن يسمى أدبا جديدا.

ولذلك فإن الأمر يستدعي فتح نقاش متعدد التخصصات حول موضوعاتية التعبيرات الأدبية الأمازيغية لما لها من الأهمية القصوى، حيث لا يمكن تصور لغة في خضمّ دينامية تناميها وتجدّدها وتطورها بدون أن يواكبها أدب متنوّع التعابير والأجناس وذو حدود مُحْكَمة التحديد.

وفي هذا السياق العام يندرج الملف الموضوعاتي لهذا العدد المزدوج الذي يتألف من أربعة عشر مقالا، أربعة منها بالعربية، وتسعة بالفرنسية، ومقالا واحدا بالإنجليزية، علاوة على عرض كتاب، ولائحة تضم بعض العناصر البيبليوغرافية.

تناول أحمد المنادي في المقال الأول الجوانب الأساسية التي تحكم تلقي الإبداع الأدبي الأمازيغي ونقده. فبنى دراسته على الأحكام النقدية والجمالية التي يصدرها الشاعر نفسه حول إبداعه، أو على تقييم الآخر له (الفترة الكولونيالية)، أو على النقد الجمالي الأمازيغي.

وعالج فؤاد أزروال في المقال الثاني "السرد في الأدب الأمازيغي الجديد" في سياق مطبوع بظهور أجناس أدبية لم تكن معروفة في الأدب الشفهي التقليدي، مثل القصة والرواية وقصص الاطفال وغيرها. وقد ارتبطت هذه الظاهرة بالرغبة في امتلاك أدوات تعبيرية إنسانية للاستدلال على قدرات اللغة والثقافة الأمازيغيتين وإمكانياتهما، وبالنزوع نحو التغيير والتجديد لمواكبة تطور الإبداعات العالمية، وارتبطت أيضا بمرحلة الانتقال من الشفاهة إلى الكتابة وما يستلزمه هذا الانتقال من اشتراطات وتحولات.

وفي دراسة ثالثة حول "التاريخ الأدبي الأمازيغي"، اعتبر بنعيسى يشو أن ممارسة النقد الأدبي لا يمكن أن تقوم على أسس سليمة دون تاريخ أدبي، ويجب على هذه الممارسة أن تتبنى على منظور علمي منهجي يتلاءم وخصوصية هذا الأدب، مما سيمكنها من تيسير أعمال البحث حول الأدب الأمازيغي والنقد الأدبي لمختلف الأجناس.

وعالج مقال محمد أوسوس ظاهرة الشعر الأمازيغي الحديث في منطقة سوس من خلال تجربة فئة من الشباب التي بدأت تمارس الكتابة الشعرية حديثا، والتي نشرت دواوينها مع مطلع الألفية الثالثة. وقد عملت الدراسة على مقاربة نصوص هذه التجربة لاستخلاص السمات المشتركة التي تميزها والعناصر المتكررة فيها وبواعث الكتابة لديها ورصد بعض ملامح التحديث والثورة على التقليد.

ويضم الملف الموضوعاتي أيضا تسعة مقالات باللغة الفرنسية. ومقالا واحدا بالإنجليزية. ففي دراسة معمّقة، مصاغة على نحو حوار، تستعيد بوليت گالان بيرني P.Galand-Pernet إشكالية التعبيرات الأدبية الأمازيغية لمقاربتها من حيث تنوعاتها وخصوصياتها الشكلية والجوهرية، وظروف إنتاجها، وما لذلك من صلات بتطوّر مختلف "الأجناس" أو "الأجناس الفرعية". فانطلاقا من نسبية مفاهيم من قبيل "الثقافة"، و"الفن" و"الأدب"، وكذا "الجنس الأدبي" ذاته، تبعا للمجتمعات المنتجة لها وتاريخها، تخلص الباحثة إلى أن عدم تجانُس المعايير المعتمدة بالنسبة لسائر الأجناس، حيث إن هناك من التداخلات ما يزال يشوب التصنيفات التي يتمّ وضعها، ولا يمكن رسم حدودها إلا في السياق العام لمجتمع بعينه وانطلاقا من المعايير الخاصة التي يأخذ بها في التصنيف والتنميط والتقنين. ومن ثم، لا يمكن اعتبار الأصناف والأجناس الأدبية إلا من منظور مقامها في أدبٍ ما يزال رهين التساؤل والنقاش بشأن وضع مبدعيه ومؤلّفيه وناقليه وإرساليات خطابه وجمهوره.

ومن خلال مقالته المنتظمة على نحو عناصر تفكير وتأمل، يرسم عبد القادر بزازي بعض خصائص الحكاية "تحاجيت"، ويميّز في ذلك بين مستويي التقرير والإيحاء باعتبارهما متكاملين يتراوحان بين "السرد" و"الحكي". كما يأتي بمسوّغات للتمفصل بين القول التواصلي والقول السردي، محاولا استكشاف "المعالم الخطابية" التي من شأنها ترسيخ "تحاجيت" في الذاكرة.

واستفرد الشعر بأربعة مقالات، خُصص الأول منها لشعر تاشلحيت، وهو لميريام روفزين أولسن M. Rovsing Olsen ، التي اعتمدت نصين، أحدهما لأغان طقوس الزواج والآخر لأحواش، لتبيّن أن الموسيقى جزء لا ينفصل عن الشعر، وأن الأخذ فقط بكيفية انتظامه يفْضي إلى وضع تصنيفات قائمة على عمليات تقنية عوض التوسّل بمعايير حصرياً لغوية أو أدبية. أما المقال الثاني، (وهو بالإنجليزية) فقد تناول فيه ميكايل بايرونM. Peyron شعر منطقة الأطلس المتوسط (المغرب)، ووضح أن مختلف الأنماط التقليدية (تاماوايت ايزلي وتامديازت...إلخ) عرفت، في الأربعينيات الماضية، تطورا نتيجة عوامل سوسيوثقافية واقتصادية وسياسية. ويرى المؤلف أنه لضمان استدامة الشعر الغنائي الشفوي بمنطقة الأطلس، يتعين العمل على العناية باللغة والحفاظ عليها، ومضاعفة المجهودات لتجويد "المنتوج" الذي "يُفتخر بكونه مؤشّرا للانتماء الهوياتي". وتناولت حسينة خردوسي في المقال الثالث جوانب من الشعر النسائي القبائلي المجهول الناظم، انطلاقا من تيمة "الجسد"، من خلال دراستها متناً شعريا جمعته من منطقة القبائل الجزائرية، حيث أوردت معلومات مهمة حول شتى التيمات التي تدور في فلك الموضوع الرئيسي "للجسد" وتمثّلاته. وعبر مقاربة أنتروبولوجية، بينت الباحثة كيفية توظيف الإبداع الشعري الشفوي أحاسيسَ الجسد، كتعويض عن المكبوتات اليومية، وذلك باستعمال الرموز والصور والتخييل. وفي المقال الرابع، يبحث كمال بوعمارة إشكالية العَروض في الشعر القبائلي التقليدي، انطلاقا من الفرضية التي دافع عنها بلقاسم بن سيدرة و مولود فرعون ومولود معمري. وقام بالكشف عن أنماط "الأشكال" المستعملة في هذا الشعر، مستشهدا لها بمقاطع شعرية. وتتوزع هذه الأشكال إلى ثلاث مستويات هرمية: الوزن، و"الشكل الثابت"، و"الشكل الوسيط" أو المقطع (الفرعي).

أما إشكالية الكتابة الأمازيغية فقد عالجتها دراسة لنجاة نرسي، اعتمادا على نسخة عبد العزيز بوراس (1991) لأسطورة حمو أونامير الذائعة الصيت في منطقة الجنوب المغربي. وقد بيّنت الباحثة أن تجربة إعادة إنتاج هذه الأسطورة وكتابتها بمثابة انتقال من الشفهية إلى الكتابة يضع أسس الكتابة الأدبية الحديثة باللغة الأمازيغية. كما حاولت الدراسة توضيح الطريقة التي اعتمدها الكاتب لتحويل نص شفوي إلى نص مكتوب، من خلال التقنيات القائمة على المستويين اللساني والأسلوبي، مساهما بذلك في بناء الإنتاج الأدبي الجديد المكتوب بالأمازيغية وتكريسه.

وتمحورت مساهمة محمد سگنفل حول المثل في تاشليحت، حيث كشف الباحث عن السمات المميّزة لهذا الجنس الأدبي، على مستويي الشكل (البعد والبنية الثنائية والإيقاع) والدلالة ("التجنيس" و"الاستعارية"). وانتهى التحليل إلى وضع ترسيمة لنماذج المثل تتراوح ما بين النموذجي واللانموذجي.

وفي مقال حول الأدب القبائلي الجديد، اقترح سعيد الشماخ، لدراسة ظروف إنتاج الأدب المكتوب، مقاربة تندرج في إطار التاريخ الأدبي وسوسيولوجيا الآداب. واستلهاما لنظريات باختين (1977)، أكد الباحث على ضرورة توفّر الكاتب على مقوّمات ثلاث: الكفايات اللغوية، والأدبية، والحوافز الاجتماعية، وهي شروط ينبغي التساؤل حولها في دراسة الأدب الجديد.

وخصص موحند أكلي الصالحي مساهمته لعرض تجربة حول وضع المصطلح الأدبي في دراسات الأدب وتعليمه، حيث رسم خطاطة لما اعتبره من "الحقول المتجاورة"، وهي الشعرية والسميوطيقا والبلاغة والأسلوبية واللسانيات. كما خلص إلى تقديم جملة من الاقتراحات المصطلحية مركزا على النص وعلاقته بالنصوص الأخرى.

وفضلا عن المقالات، شمل الملف الموضوعاتي عرضا لخديجة محسن حول كتاب بوليت گالان بيرني P.Galand-Pernet: "الأدب الأمازيغي: أصوات وحروف" ، ثم لائحة بيبليوغرافية من إنجاز أحمد المنادي وهاشم الجرموني، ضمت المنشورات التي عرفتها ساحة التعبير الأدبي الأمازيغي في العقدين الأخيرين.

أما باب "دراسات"، فيتضمن أربع مساهمات، ثلاثة منها بالعربية وواحدة بالفرنسية. تناولت الدراسة الأولى، وهي لفاطمة بوخريص، رقصة أحيدوس المتداولَة في الأطلس المتوسط، التي شهدت خلال العقدين الأخيرين تحوّلا من حيث طقوس ممارستها ووظائفها الأصلية، إذ انتقلت من فن جماعي محلّي إلى منتوج فرجوي يخضع لمنطق المهننة الحديثة في فضاء غير فضائه التي نشأ فيه وتطوّر. أما الدراسة الثانية فيعالج فيها الحسين بوظيلب ظاهرة الهجرة بمنطقة الريف الشرقي، والتي كانت بدايةً نحو الشمال الغربي للمغرب، ثم في اتجاه الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وبعدها نحو الخارج في بداية الستينيات. ومع أن للتحويلات النقدية للمهاجرين أثر إيجابي على تحسين عيش الساكنة بالمنطقة، فإنها ساهمت في تسريع وتيرة تحوّل العلاقات الاجتماعية والقيم المحلّية بفعل سيادة المنطق المادي. وتناول رشيد لعبدلوي، في الدراسة الثالثة، الخصائص التركيبية للضمائر المتصلة في الأمازيغية، فبيّن أن نقل الضمائر من موقع إلى آخر يسوّغه فحص سماتها الصرفية، وهي السمات الإحالية والسمات الإعرابية وطبيعتها اللاصقية. وتقدّم الدراسة الرابعة، وهي لمليكة شاكيري، تحليلا بلاغيا للعبارات الاسمية الأمازيغية (أمازيغية الأطلس المتوسط)، حيث عالجت الكاتبة بنيتها الدلالية، كاشفة عن مختلف أساليب التعبير الموظفة.

ويضم باب "ملخصات الأطاريح" خمس ملخصات لأطروحات حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين نوقشت لنيل الدكتوراه، ويتعلق الأمر بالحسين بوظيلب (2005) " أسس الهجرة الدولية والدينامية السوسيومجالية بالريف الشرقي (كلية الآداب ظهر المهراز، فاس)، ورشيدة رحو (2005)، "القاموس الأمازيغي– الفرنسي، لهجة بني يزناسن (المغرب الشرقي) (كلية الآداب ظهر المهراز)، وحسينة خردوسي (2007) "الشعر النسائي القبائلي المجهول الناظم: مقاربة أنتروبولوجية– متخيلة لإشكالية الجسد (جامعة گرونوبلIII)، وزهير مكسم (2007) " من أجل سوسيوديداكتيك اللغة الأمازيغية: مقاربة سوسيوديداكتيكية (جامعة ستندال، گرونوبل)، وعلوة رابحي (2009) " تحليل لساني وأسلوبي لأعمال يونس آيت منگلات الشعرية : نصوص قبائلية وترجمة فرنسية (جامعة بروفانس).

أما باب "نصوص"، فتضمن أربع إنتاجات بالأمازيغية : ثلاث قصائد لكل من زوهرة آيت بحّ ⵜⴰⵜⵟⵉⵔⵜ ⵏ ⵉⴷⵓⵔⴰⵔ، وليلى أبالي ⵜⴰⵡⵎⴰⵜ، وعلي يكن ⵔⵉⵖ ⴰⴷ ⵙⴰⵡⴰⵍⵖ، وحكاية من توقيع حسن بنعمارة بعنوان ⵜⴰⵛⵅⴰⵔⵜ ⵏ ⵎⵉⵅⴰ ⴷ ⵜⵄⵜⵜⴰⵛⵜ

وتتقدم مديرية المجلة وهيئة تحريرها بخالص الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا العدد المزدوج: أبو القاسم الخطير، ومحمد أديوان، وفؤاد أزروال، ومحمد أقوضاض، وعبد الله بومالك، و ميكايل بيرون، وعبد العلي تالمنصور، ومولاي هاشم جرموني، وعبد السلام خلفي، وعبد الهادي السودي، والمصطفى الشادلي، ومحمد شطاطو، وأحمد الشعبهي، وخالد عنسار، والحسين المجاهد، وأحمد المنادي، والوافي النوحي، ومحمد الوالي، وتاسعديت ياسين.